ربيع عيد*

حق العودة في الممارسة: إقرت، كفر بُرعم، ميعار، صفّورية، اللجّون، معلول، الغابسية

لم يفقد الشعب الفلسطيني يوماً أمله بالعودة إلى وطنه وبيته، فالأمل الذي حمله الآباء والأجداد لم يبق حلماً وحنيناً في النفوس، وإنما بات اليوم مشاريع للعودة بدأت تتجسد على أرض الواقع ينفذها الجيل الثالث والرابع بعد النكبة من الشباب والكبار في عدة قرى مُهجرة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٤٨، فقد شهدت سنة ٢٠١٣ حراكاً مكثفاً للعودة، مقارنة بأعوام سابقة، تمثل في عودة قسم من أهالي قريتَي إقرت وكفر بُرعم الفعلية إليهما، وإقامة مخيمَين للعمل التطوعي في قرية الغابسية، وأمسيات فنية ورمضانية في قرية ميعار، وخمسة مشاريع تصوّر شبابية للعودة في خمس قرى، وعُقد مؤتمر دولي ناقش كيفية تطبيق العودة، مع الإشارة إلى تعاظم المشاركة في المسيرة السنوية للعودة السادسة عشرة التي جرت على أراضي قرية خبيزة بتنظيم جمعية الدفاع عن حقوق اللاجئين، وأنشطة عديدة أُخرى.

لعل أبرز معالم هذا الحراك كان في إقرت وكفر بُرعم، عندما قرر أهالي القريتين اتخاذ خطوة جديدة ومقدامة نحو تحقيق عودتهم الفعلية إلى قراهم، وعدم الاكتفاء بالتواصل المتقطع، بل بالعودة والسكن في القرية.. وهذا ما بدأته مجموعة شبان من قرية إقرت قبل عام. فقد قدّمت هذه القرية في سنة ٢٠١٣ نموذجاً جديداً في النضال، وباتت تستقطب العديد من الوفود المؤيدة والمشجعة ووسائل الإعلام المحلية والعالمية، أمّا في كفر بُرعم، وبعد انتهاء مخيم العودة الرابع والعشرين في آب / أغسطس الماضي، فقرر كثيرون من الشباب، وبالتنسيق مع العديد من أهالي هذه القرية، العودة هم أيضاً، وجرى إعلان مشروع العودة بشكل رسمي من خلال كاهن الرعية بعد القداس الأسبوعي في كنيسة السيدة مريم بحضور المئات من البراعمة.

قصة كفر بُرعم وإقرت كباقي قصص قرانا ومدننا الفلسطينية المُهجرة في سنة النكبة، فعلى الرغم من المحاولات المستمرة

* صحافي وناشط سياسي في الداخل الفلسطيني.

بعد سنة ١٩٤٨ للعودة بشتى السبل، وحتى باستصدار قرار من المحكمة العليا الإسرائيلية بحق العودة، فإن القرار الأمني في إسرائيل فوق القضاء، وهو حدد أن إقرت وكفر بُرعم منطقتان عسكريتان كونهما حدوديتين، لكن نضال أهالي القريتين المتميز والمتقدم أبقى القضية في الأجندة، ولم يسمح باندثارها.

نجاح هذه الخطوة وتطورها سيعطي نضال أهالي القريتين دفعة كبيرة، وهو نضال طويل مَرّ بعدة محطات تاريخية على مستويات متعددة: قضائياً، وسياسياً، وشعبياً. وكما يبدو، فإن المستوى الأخير له الفضل الأكبر في بقاء قضية القريتين حية في نفوس أبنائهما، وخصوصاً من الجيل الجديد، وفي عدم الاكتفاء بتواصل موسمي وبإحياء ذكرى النكبة. ولعل أبرز عناصر هذا التواصل هو تنظيم مخيمات العودة الصيفية على مدار الأعوام السابقة.

في إقرت: إحنا رجعنا

لإقرت حكايتها الخاصة. فهذه القرية لم تواجه الهجمة الصهيونية، ودخلها الصهيونيون في ٣١ تشرين الأول / أكتوبر من دون قتال. ووفقاً لرواية "تاريخ حرب الاستقلال" (Israeli Ministry of Defense, *Toldot Milchemet ha – Qomemiyyut*, Tel Aviv: Marakhot,1959) [راجع: وليد الخالدي، "كي لا ننسى ـ قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها"، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ٣، ٢٠٠١)، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١]، فإن سكانها "ظلوا ـ على ما يبدو ـ في منازلهم. غير أن هؤلاء السكان لم يمكثوا هناك طويلاً. فبعد عشرة أيام تقريباً من انتهاء المعارك على الجبهة الشمالية، طُردوا في غير إبطاء. واستناداً إلى المؤرخ الإسرائيلي بني موريس، فإن إقرت ذهبت مع الكثير غيرها من القرى، ضحية 'مبدأ الشريط الحدودي الخالي من العرب'؛ وهو ما وافقت عليه هيئة الأركان العامة في الجيش الإسرائيلي في الأسبوع الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨. وفي إقرت، أخبر الجنود السكان بأن طردهم سيكون موقتاً، وبأنه سرعان ما سيُسمح لهم بالعودة. وقد شُتت بعضهم إلى لبنان، وشُحن بعضهم الآخر بالشاحنات الإسرائيلية إلى قرية الرامة الفلسطينية التي تقع على بعد نحو عشرين كيلومتراً إلى الجنوب. وطوال بضعة أعوام لاحقة، استمر سكان إقرت، وغيرهم من سكان قرى أُخرى حل بها المصير ذاته، في مراجعة السلطات الإسرائيلية للسماح لهم بالعودة إلى قراهم، لكن من دون جدوى. وكتب موريس يقول إن حالة إقرت واثنتين من القرى الحدودية الأُخرى، بصورة خاصة، 'توضح عزم الجيش الإسرائيلي، ابتداء من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨ على إيجاد شريط حدودي شمالي خال من العرب' (Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem 1947-1949*, Cambridge: Cambridge University Press, 1987, pp. 237-239)."

لم يكن دافيد بن ـ غوريون الذي قال: "الكبار يموتون والصغار ينسون"، ليتخيل أن مقولته هذه تحولت في إقرت إلى "الكبار يموتون والصغار يعودون"، وذلك بفضل مجموعة من "الصغار" الذين قرروا تصعيد نضال أهالي إقرت نحو العودة الحقيقية بعد أن رضعوا حُب إقرت من الكبار. "نكبة ولا مش نكبة، قرار تقسيم أو مش تقسيم، بموافقة إسرائيل أو بدونها.. إحنا رجعنا!" بهذه المقولة بدأ عدة أشخاص من شباب وشابات قرية إقرت، مشروع عودتهم الفعلية إلى قريتهم المهجرة في سنة ١٩٤٨، والذي

إقرت		
الموقع	على بعد ٢٥ كم شمالي شرقي عكا	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	حيرام	
سبب النزوح	طرد العصابات الصهيونية للسكان	
مدى التدمير	مدمرة بشكل كامل	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	٢١,٧١١	صفر
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	٥٦٨ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	٨٣ بيتاً	

بدأ بتاريخ ٥ / ٨ / ٢٠١٢، وهم، حتى هذه اللحظة، يحرسون ويصونون ويرممون ويزرعون ويعيشون على أرض إقرت، لتصبح هذه القرية أول قرية فلسطينية تمارس حق العودة.

تحولت إقرت إلى بيت فعلي ولم تعد حلماً كما في السابق، فقد أحضر العائدون معهم مستلزمات الحياة اليومية واستقروا، وأصبحت البلدة حية بشبابها الذين حولوها إلى رمز حقيقي لحق العودة بدأ يستقطب المئات من المتضامنين مع قضيتهم من البلدات العربية في الداخل، الذين يزورونهم ويستمعون إلى قصة القرية ويأكلون ويسهرون معهم.

أنشأ العائدون صفحة في الفايس بوك بعنوان: "إقرت ـ لم نبق لاجئين، عُدْنا،" للتواصل ونشر أنشطتهم وتفصيلات عودتهم وحياتهم اليومية من زرع للأشجار، وبناء قن دجاج، وزرع الأرض، واستقبال الوفود، وتنظيم مسيرات في الطبيعة في أرجاء القرية واستكشافها.

ولم تكن عملية العودة بهذه السهولة، فالعائدون يتعرضون لمضايقات مستمرة من شرطة الاحتلال و"سلطة دائرة أراضي إسرائيل"، وجرى أكثر من مرة هدم أي مبنى جديد حتى قُن الدجاج، كما تم اقتلاع العديد من الأشجار والمزروعات. علاوة على ذلك، لم تكن فترة فصل الشتاء سهلة لأن الغرفة الملاصقة للكنيسة، والتي يسكنون فيها، غير مُعدّة للسكن.

يناضل الإقرتيون في سبيل الدفاع عن حق ملكيتهم للأرض والعقار في

أحد النشاطات في إقرت في سنة ٢٠١٣

قريتهم الأم، وعن حقهم في العودة إليها وإعادة إعمارها. وانطلاقاً من هذه الحقوق، يطالب السكان بما يلي: اعتراف الحكومة الإسرائيلية بمسؤوليتها الأخلاقية والقانونية عن الظلم الذي وقع على أهالي إقرت؛ سماح الحكومة الإسرائيلية بعودة الأهالي إلى قريتهم الأم، إقرت؛ إعادة بناء إقرت على أراضيها؛ تعويض السكان عن هدم بيوتهم ومبانيهم، وعن تدمير المحاصيل الزراعية، وعن الألم والمعاناة على مر السنين؛ إبطال أوامر المصادرة والإغلاق الإدارية.

خلال لقائك بشباب إقرت تدرك أنه لا مجال للتراجع، وأن حق العودة يُنتزع، وهو بحاجة إلى عمل جماعي وتخطيط وإصرار دائم. وربما لا يعرف كثيرون قصة إقرت وما يقوم به شبابها اليوم، لكن نضال أهلها سيُحفر في تاريخ القضية الفلسطينية، وسيكون مُلهماً لقرى مهجرة أُخرى كي تحذو حذو إقرت، فكل متابع لقضية إقرت يؤكد لك أن هذه القرية اليوم، الملأى بالحياة، تخطو مرحلة جديدة ومتقدمة نحو تحقيق الحلم، فأن تزور إقرت يعني أن تشعر بأن العودة باتت أقرب.

في كفر بُرعم: أُعلن عودتي

حكاية كفربرعم تشبه حكاية إقرت. فبحسب كتاب وليد الخالدي "كي لا ننسى" (مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، "استسلمت كفر برعم في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٨، يوم سقط الجليل في يد القوات الإسرائيلية خلال عملية حيرام [....]. وتم طرد سكانها، كغيرهم من سكان القرى الحدودية 'موقتاً ولأسباب أمنية'. وقد سُمح لبعض الذين طُردوا إلى خارج الحدود بالعودة إلى إسرائيل، لكن لا إلى قريتهم . أمّا غيرهم ممّن وُجدوا مختبئين في الكهوف

كفر بُرعم		
الموقع	١١ كم شمالي غربي صفد	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	حيرام	
سبب النزوح	طرد العصابات الصهيونية للسكان	
مدى التدمير	مدمرة بشكل كامل	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	١٢,٢٤٤	صفر
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	٨٢٤ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	١٩٦ بيتاً	

المجاورة للقرية، فقد نُقلوا إلى قرية الجش (٣ كم إلى الجنوب الشرقي)، وأُحلّوا في المنازل التي أُخليت من سكانها سابقاً. وفي تموز / يوليو ١٩٥٢، قضت المحكمة العليا الإسرائيلية بأن لا سبب يمنعهم من العودة. لكن الجيش الإسرائيلي سوّى القرية بالأرض في سنة ١٩٥٣.″

كفر بُرعم كأختها إقرت وأعلنت العودة هي أيضاً. نزيه أبو وردة القاطن اليوم في مدينة عكا، وأحد الأشخاص الأوائل الناشطين في حركة العودة لأبناء كفر بُرعم التقدميين، والذي أعلن عودته إليها، يتحدث عن الإصرار على العودة، إذ يقول: ″غالبية أهالي القرية الذين عاشوا التهجير فارقوا الحياة، والغريب الجيد أن الأجيال الجديدة كان من المتوقع أن تغرق في همومها وحياتها اليومية، إلاّ إنها تملك إصراراً أكبر. الجيل الجديد يتعامل مع القرية على أنها له، وأن هذا البيت بيته، ومتحمس جداً لفكرة العودة والتواجد الدائم. كما أنها أمانة في أعناقنا نحن الجيل الثاني.. أبي الذي توفي وكان التهجير بالنسبة له إذلالاً وضرباً لكرامته حمّلني هذه الأمانة، وأولادي يسألونني عن القضية.. أشعر أن هذه الأمانة يجب أن أنقلها لهم.″

ويضيف أبو وردة بشأن مخيم العودة إلى كفر بُرعم الصيفي الـ ٢٤: ″المخيم على بساطته أكّد فكرة العودة التي مرت بالعديد من المراحل، منها مراحل يأس وإحباط أيضاً. أتى المخيم الذي بدأ في المرة الأولى عام ١٩٨٢ وغيّر هذه الفكرة، وأعطى تأثيراً معنوياً كبيراً خصوصاً وأنه في السنوات

شابات وشبان كفربُرعم خلال نشاط أمام كنيسة البلدة

الأخيرة استلم الجيل الجديد تنظيم المخيم وإدارته."

حنين جريس (١٨ عاما) التي تشارك منذ صغرها في المخيم، تقول: "أشعر أنني أخدم قضيتنا التي ناضل من أجلها آباؤنا وأجدادنا، وأن الدور اليوم عليّ أنا وبإمكاني المساهمة والإفادة." وتضيف عن تجربتها في الإرشاد وورشات العمل خلال المخيم: "فوجئت بمجموعتي... أطفال في الصف الخامس والسادس لديهم وعي كبير ويعرفون تفاصيل القضية وكأنها ولدت معهم."

أمّا ساهر جريس أحد الشبان المنظمين والناشطين في مشروع "أعلن عودتي"، فيحكي عن فكرة هذا المشروع التي بدأت كمبادرة شبابية التفّ حولها أهالي القرية، وتقرر الشروع فيها بعد المخيم مباشرة، قائلاً: "أنشأنا لجنة مركزية للعمل مقسمة إلى عدة لجان مثل لجنة الورديات ولجنة قانونية ولجنة مالية وغيرها.. نتقاسم فيما بيننا إدارة هذا المشروع." ويشير ساهر إلى أن العودة لن تكون بهذه السهولة إذ ستتغير أوضاع حياته اليومية كونه يسكن في حيفا، لكنه يعتقد أن الأوان آن لذلك: "علينا ترجمة حبنا وحماستنا وعطائنا لكفر بُرعم في مشروع حقيقي على أرض الواقع وعدم الاكتفاء بالمشاعر فقط.. علينا ترجمة التفاعل الكبير الذي يحصل في المخيمات الصيفية إلى عمل مستمر."

وشمل المخيم هذا العام العديد من الفاعليات والنشاطات التربوية والوطنية واللامنهجية، إذ شارك فيه قرابة ٢٠٠ شخص، فضلاً عن المرشدين الذين ناموا في خيمهم أسبوعاً كاملاً في ساحة الكنيسة والمدرسة. وعمل المخيم على ترسيخ الانتماء لدى الأطفال، وتُعتبر إقامته المناسبة السنوية الكبرى بالنسبة إلى أهالي القرية الذين يجتمعون فيها ويتواصلون، علاوة على كونها فرصة للتواصل مع أهالي كفر

بُرعم في الشتات من خلال إحدى الورشات التي نُظمت، فقد كتب فيها الأطفال رسائل موجهة إلى العديد من أهالي كفر بُرعم في الخارج، وسيتم إرسالها عبر البريد.

وعلى الرغم من العديد من التضييقات التي يتعرض العائدون لها من ناحية التصاريح أو هدم أي مبنى (إنشاءات ملحقة مثلاً) يتم بناؤه، فإن المسيرة متواصلة، ويُتوقع أن يتم إجلاؤهم في أي لحظة بعدما أصدرت ما يسمى "سلطة دائرة أراضي إسرائيل" ٢٠١٣/٩/١٧ أمر إجلاء (حتى كتابة هذه السطور لم يتم الإجلاء).

وبعد إعلان أهالي كفر بُرعم العودة، ومضي عام على عودة شباب إقرت، وفي مبادرة من صحيفة "فصل المقال"، قررت الصحيفة توزيع عدد من النسخ للصحيفة في قريتَي إقرت وكفر بُرعم وبشكل مجاني صباح كل يوم جمعة، تشجيعاً لمبادرة العودة وصمود العائدين.

رأينا العودة في خمس قرى مهجرة

"نرى عودتنا".. هو اسم الأمسية الثقافية الفنية التي نظمها عدد من مؤسسات المجتمع المدني في الداخل الفلسطيني احتفاء باختتام مشروع "عدنا ٢٠١٣" لتصوُّر العودة، في موقع قرية معلول المهجرة قضاء الناصرة، بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٢٠١٣، بحضور المئات. وجاءت هذه الأمسية لعرض مشاريع تصوُّرية للعودة إلى خمس قرى هُجّر أهلها خلال النكبة في سنة ١٩٤٨، هي: إقرت، وصفّورية، واللجّون، ومعلول، وميعار، عملت على التخطيط لها وإنجازها خمس مجموعات شبابية من الجيل الثالث بعد النكبة تنتمي إلى عائلات هُجرت من هذه القرى.

أساس المشروع كان البحث في ماهية العودة: ما مفهومها؟ وكيف التخطيط لها؟ ما الأسئلة الصعبة والعقبات التي يمكن أن تواجَه عند التخطيط؟ كيف يتم تجاوزها، وكيفية الانتقال من مرحلة الحنين، إلى زمن العمل الملموس؟ على أي صورة ستكون بلدات العودة؟ كيف سيتم التعامل مع الازدياد الديموغرافي للمهجرين عند عودتهم؟ كيف سيترجَم ذلك في التخطيط، وكيف سيُجمع في آن بين تراث البلد المُهجر وبين حاجات الإنسان العصرية؟ أسئلة تُطرح لأول مرة ضمن مشروع نُفّذ بشراكة كل من "الجمعية العربية لحقوق الإنسان"، و"جمعية الشباب العرب ـ بلدنا"، و"جمعية الدفاع عن حقوق المهجرين"، و"ذاكرات"، بهدف العمل مع مجموعات شبابية من أبناء الجيل الثالث بعد النكبة، وتثقيفها بشأن تاريخ الشعب الفلسطيني قبل النكبة وكيفية تشكلها، وكذلك بشأن اللجوء وواقع اللاجئين اليوم، فضلاً عن تدريبها على توثيق الرواية الشفوية، والعمل على إنجاز مشروع ختامي لكل مجموعة يتعلق بوضع تصوّر للعودة.

إستاد إقرت الدولي

عرضت المجموعات الخمس المشاريع التي أنجزتها، مصورة من خلالها العودة ومفهومها؛ فعرضت مجموعة إقرت مشروعها، وهو عبارة عن ملعب كرة قدم (صغير) أنشئ فعلاً في القرية خلال المخيم الصيفي السنوي، وأُطلق عليه اسم "إستاد إقرت الدولي"، للتدليل على أن فلسطين عرفت قبل النكبة فرقاً رياضية كثيرة تتبع جمعيات ونوادي كانت تنظم البطولات فيما بينها. وعرضت المجموعة فيلماً عنوانه "إستاد إقرت الدولي"، من تصوير وإعداد منى عمري، وإنتاج "الجمعية العربية لحقوق الإنسان"، وشمل توثيقاً لاستعدادات شباب

إقرت لافتتاح الملعب في القرية بحضور العشرات من أهالي القرية وشبابها على كلمات وألحان "بكتب اسمك يا بلادي"، وإنشاد منتخب إقرت لنشيد "موطني" بزي المنتخب الرياضي، وجرت المنافسة بين فريقين من إقرت.

صفّورية تجمعنا

مجموعة صفّورية قدمت فيلماً عنوانه "صفّورية"، تضمّن توثيقاً لروايات شفوية ومقابلات مع أناس من مختلف الأجيال من هذه القرية المهجرة، يقيمون في فلسطين وخارجها، وهم: رسمية سليمان (أم سمير)؛ موعد مصطفى موعد؛ سميرة سليمان؛ أمين محمد علي (أبو عرب)؛ محمد موعد؛ محمد

رسوم وكتابات على حجارة في صفّورية لناشطين من البلدة

صفورية		
الموقع	٦ كم شمالي غربي الناصرة	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	١٦ تموز / يوليو ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	ديكل	
سبب النزوح	طرد العصابات الصهيونية للسكان	
مدى التدمير	أغلبية البيوت مدمرة، وقليل من البيوت أو المباني باقٍ	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	٦٨,٣١١	صفر
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	١,٢٨٠ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	٢٤١ بيتاً	

عوايسي؛ هاني نجم؛ عبد الفتاح موعد. وروى مَن وُلد في القرية وشهد تهجيرها تاريخ القرية ومعالمها وطبيعة الحياة فيها، وكيف هُجّر أهلها ودُمرت بيوتها بعد ذلك كي تقام على أنقاضها مستعمرة "تسيبوري". وأكد المشاركون في الفيلم الذي تضمّن صوراً للقرية قبل النكبة ومشاهد حديثة لما تبقّى من معالمها، تمسكَهم بحق عودتهم إلى قريتهم، وأن هذا ممكن جداً. ثم عُرض بعد ذلك "كليب" لأغنية "صفّورية تجمعنا."

اللجّون: يوم العودة

أمّا مجموعة قرية اللجّون فعرضت مخططاً هندسياً أعدّه وأشرف عليه المهندس شادي حبيب الله، وهو يعكس تصوّر أعضاء المجموعة لعودتهم إلى قريتهم، مقدّمين خرائط قديمة وحديثة لمنطقة بلاد الروحة، ولقرية اللجّون تبيّن مساحتها، وموقعها، ومبناها الطوبوغرافي، والهيئة التي كانت عليها بيوتها ومرافقها قبل النكبة، والتطور الديموغرافي لسكانها ولاجئيها، وحساب عدد أبنائها المهجرين منها اليوم، وهو ١٦,٠٠٠ نسمة تقريباً، وكانوا ١٢٨٠ نسمة في سنة ١٩٤٨، وهو ما أُخذ في الاعتبار عند التخطيط.

وأوضح حبيب الله أن المخطط العام الذي تقترحه المجموعة لقرى بلاد الروحة الـ ٣٤ المهجرة، هو إنشاء عدة تجمعات سكنية يضم كل واحد منها عدداً من القرى القريبة من بعضها، على أن تراعى في التخطيط حاجات الذاكرة والتراث وصورة المكان في ذهن اللاجئ ووجدانه، وكذلك الحاجات العصرية من أجل حياة كريمة، من عمل، وتعليم، واقتصاد، ومواصلات، وبنية تحتية....

وفي الختام عُرض فيلم "بسواعدنا"، وهو بياني ثلاثي الأبعاد، عبارة عن جولة تفاعلية داخل اللجّون المتخيلة على ألحان

أبناء اللجّون يقدمون عرضاً على الأحصنة في إطار مشروع "بسواعدنا"

اللـجّون			
الموقع	١٦ كم شمالي غربي جنين		
تاريخ الاحتلال الصهيوني	٣٠ أيار / مايو ١٩٤٨		
العملية العسكرية الصهيونية	غدعون		
سبب النزوح	اعتداء مباشر من القوات الصهيونية		
مدى التدمير	أغلبية البيوت مدمرة، وقليل من البيوت أو المباني باقٍ		
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل		
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود	
	٤١,٧٤٨	صفر	
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	٥,٠٢٣ نسمة		
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	١١٩٢ بيتاً		

نشيد "موطني"، ويفتتح بلافتة مكتوب عليها باللغتين العربية والإنجليزية، فضلاً عن العبرية: "أهلا وسهلاً بكم في اللجّون". وتظهر بيئة اللجّون في الفيلم وافرة الخضرة، فيها جداول ونوافير، لأن اللجّون عُرفت بوفرة وديانها وعيونها. وتظهر أيضاً مرافق مبنية وفق النمط المعماري الفلسطيني القديم، وقد وُضع عليها لافتات تشير إلى طبيعة استخدامها، منها: متحف اللجّون؛ نادي العودة للشباب؛ دارة الفنون؛ المكتبة العامة؛ جمعية اللجّون للحفاظ على البيئة.... وفي وسط هذه المرافق يظهر مدرج مسرحي، علاوة على نصب تذكاري على هيئة مفتاح العودة، ترتفع فوقه سارية تحمل الراية الفلسطينية التي تظهر في ختام الفيلم.

لافتات داخل معلول

أمّا مجموعة معلول فقامت بنصب لافتات تشير إلى مواقع المرافق المستقبلية التي ستكون في البلدة عند عودتهم إليها، من مدارس، ومصرف، وبريد، وجمعيات، وسوق تجارية، ومطاعم ومحلات تجارية، وغير ذلك.

كما عرضت المجموعة فيلماً من إنتاجها، أخرجه وجدي عودة، وهو يبيّن موقع القرية وما تبقّى منها من معالم بعد تهجيرها، فضلاً عن مقابلات مع أسر من معلول تضم أشخاصاً من الجيل الأول والثاني والثالث للنكبة. ويعكس الفيلم تصوّر شباب معلول لقريتهم عند عودتهم إليها، ومرافقها، مبيّنين أن العودة حق لا يمكن التنازل عنه بأي حال من الأحوال.

معلول		
الموقع	٦ كم غربي الناصرة	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	١٥ تموز / يوليو ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	ديكل (المرحلة الثانية)	
سبب النزوح	اعتداء مباشر من القوات الصهيونية	
مدى التدمير	دُمرت بالكامل، لكن أنقاض البيوت لا تزال موجودة	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	١,٩٤٩	٢,٧١٩
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	٨٠٠ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	١٨٤ بيتاً	

ملصق مشروع "نرى عودتنا" لناشطي معلول

ميعار تطالب بالدار

عرضت مجموعة ميعار أيضاً فيلماً يبيّن تصوّر المجموعة، وقد صُورّت مشاهده في موقع قرية ميعار، وشارك فيه أحمد حسين عبد الهادي شحادة، وهو من مواليد القرية في سنة ١٩٣٣، والشاعر الشعبي يوسف سعدة، وسلمى هيبي، ونجوان طه، ووُظّفت فيه أغنيتا "يما مويل الهوا" و"يا توتة الدار" بصوت الفنانة سلام هيبي. والفيلم من تصوير وإخراج ومونتاج إيلي رزق، وأعدّ الصوت عنان قسيم، وقام المعماري بشارة رزق بتصميم بياني لبعض معالم القرية المستقبلية، كما تصورتها المجموعة عند العودة إليها، مثل المدرسة، والمسجد، ومتنزه القرية. وتضمّن الفيلم صوراً لميعار وأهلها قبل تهجيرها، ومعلومات تاريخية عنها،

وأكد المشاركون فيه أن أبناء ميعار يملكون جميع القدرات لإعادة بناء قريتهم مجدداً.

وتميزت قرية ميعار في سنة ٢٠١٣ بحراك كثيف تمثّل في تنظيم عدة جولات وزيارات وأمسيات، مثل إقامة خيمة رمضانية في شهر رمضان الأخير ورفع الآذان وتناول الإفطار، معتبرين أن "خيمة العودة" هي خيمة ثقافية وفنية تطرح قضية المهجرين وعودتهم الحتمية، وتناضل ضد سياسة التهجير التي لم تتوقف منذ النكبة، وهي السياسة التي تنفَّذ على شكل مخطط سياسي شمولي يستهدف البلد كله بدءاً من النقب إلى الجليل والقدس والخليل والأغوار وأحياء اللد والرملة ويافا وعكا. ولتأكيد أن النضال ضد هذه السياسات العنصرية مستمر، فإنه يُشار أيضاً إلى أن قرية الرويس المهجرة استضافت هذه الخيمة أيضاً.

ولعل أبرز أوجه حراك العودة في ميعار في سنة ٢٠١٣، تمثل في توجيه رسالة من لاجئي ميعار (٢٩ / ٨ / ٢٠١٣) داخل الوطن إلى المستوطنين الإسرائيليين من مستعمرة "ياعد" الذين يسكنون فوق أراضي قريتهم، يحمّلونهم فيها المسؤولية عن منع أهل ميعار من العودة. وجاء في نص الرسالة الموجهة إلى المستوطنين، والتي وُزعت داخل المستعمرة على البيوت والسيارات والمارين، مع وجود مكثف للشرطة الإسرائيلية، ما يلي:

> كما تعلمون فإنكم تسكنون على أنقاض أراضي قرية ميعار، وفي نفس الوقت يُمنع أهالي ميعار الأصليين من العودة لبيوتهم التي هُجروا منها خلال النكبة عام ٤٨.

ميعار		
الموقع	١٧ كم جنوبي شرقي عكا	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	١٥ تموز / يونيو ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	ديكل	
سبب النزوح	اعتداءات مباشرة على السكان من قبل العصابات الصهيونية	
مدى التدمير	دُمرت بالكامل، لكن جدران بعض البيوت لا تزال موجودة	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	١٠,٧٨٥	صفر
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	٨٩٣ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	١٧٩ بيتاً	

قميص وحطّة فلسطينية وضعها ناشطون على سياج مستعمرة ياعد المقامة على أرض البلدة

إن سكان ميعار وأحفادهم يسكنون بغالبيتهم في المدن والقرى العربية المجاورة في كابول، وسخنين، وشعب، وعرّابة، وطمرة، وجميعهم يرون بميعار بلدتهم ويحافظون على تواصل دائم معها. إن هدف سكنكم على أرض ميعار هو منع سكانها الأصليين من العودة إليها، وبهذا فإن كل واحد وواحدة منكم يتحمل المسؤولية الشخصية عن الظلم الذي ما زال يلحق بسكان ميعار الأصليين، فإنكم أنتم وليس فقط حكومتكم مسؤولون عن هدم بيوت ميعار وسرقة خيراتها والاستيلاء على أراضيها ومنع سكانها الأصليين من العودة إلى بيوتهم.

وأضافت الرسالة:

إن تغييركم لاسم المكان من ميعار إلى ياعد لن يخفي حقيقة المكان ولن يخفي الظلم الذي تسببتم به ضد أهالي ميعار الأصليين، ولن يمنحكم أي شرعية. [و] كما يعرف قسم كبير من سكان "ياعد" ميعار فقد أقمنا في تاريخ ٢٦ / ٧ / ٢٠١٣ خيمة عودة رمضانية في ميعار شارك بها نحو ألف شخص من سكان ميعار والمنطقة، وتم خلالها رفع أذان المغرب وإقامة الصلاة، ومن ثم تناول الإفطار الرمضاني، وبعدها أقمنا أمسية ثقافية هدفها إعادة الحياة إلى ميعار.

وخلصت الرسالة إلى القول:

نحن سنستمر في العمل حتى عودة كل الميعاريين إلى بيوتهم في ميعار، ونأمل مساعدتكم بذلك لإقامة حياة شراكة عادلة لا تستبعد أي أحد من المنطقة.

في الغابسية: لن أبقى لاجئاً

بمبادرة من عدة مجموعات شبابية منها "شباب من أجل الأسرى"، و"مجموعة غسان كنفاني" في عكا، ولجان العمل الصحي في القدس، ومركز "يبوس" الثقافي في القدس، ومجموعة من الناشطين، افتُتح بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٢٠١٣ معسكر "لن أبقى لاجئاً" في قرية الغابسية المهجرة، لثلاثة أيام متواصلة من المبيت والعمل التطوعي، وبمشاركة ١٧٠ شخصاً من مختلف البلدات العربية، وبمشاركة واسعة من مدينة القدس. وشمل المعسكر العديد من الفاعليات والنشاطات التطوعية والوطنية والتربوية المتعددة، وركّز نشاطه الأساسي على ترميم وتنظيف مسجد الغابسية الذي أصدرت المحكمة، في سنة ٢٠٠٩، قراراً يقضي بإخلائه وعدم الاقتراب منه بعدما كان مفتوحاً أمام المصلين، وذلك بناء على أوامر من "سلطة دائرة أراضي إسرائيل".

وجرى خلال المعسكر تنظيف المنطقة أمام ساحة الجامع التي ستكون مكان إقامة المعسكر، وتم نصب خيام المبيت، وتنظيم ورشات تعارف بين المشاركين، ونُظّم برنامج فني شمل فقرات فنية يومياً، علاوة على جولات في الغابسية مع أهالي القرية والمشاركين. وخلال اليوم الختامي، أعلن المنظمون نيتهم إقامة معسكر جديد في العام المقبل في الهوشة والكساير، وتعميم هذه الفكرة وتوسيع نطاقها. ويأتي هذا المعسكر كتحدٍّ لـ "سلطة دائرة أراضي إسرائيل" التي تسيطر على أراضي الغابسية.

مؤتمر "ذاكرات ـ زوخروت": كيف نُطبق العودة فعلياً؟

على أنقاض قرية الشيخ مونس المُهجّرة، وفي قلب مدينة تل أبيب، نظمت جمعية "ذاكرات ـ زوخروت" مؤتمراً دولياً ليومين (٢٩ و٣٠ / ٩ / ٢٠١٣) حمل عنوان "من الحقيقة إلى التصحيح: تطبيق عودة اللاجئين الفلسطينيين"، وناقش إسقاطات العودة على الحيز جغرافياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً، وعلى طابع المجتمع الذي سيتبلور بعدها، ومكانة الفلسطينيين واليهود في البلد، ونظام الحكم، وعلى إمكان إعادة الأملاك بعد ٦٥ عاماً من اللجوء وتدمير الحياة الفلسطينية من جهة، وسيناريو إقامة دولة يهودية، أو بقاء الحال على ما هي عليه، وبالتالي إنشاء واقع جديد من جهة أُخرى.

وأكدت "زوخروت" في بيان أصدرته عشية المؤتمر، أن المؤتمر لا يهدف إلى "مناقشة حق اللاجئين في العودة، إنما إلى كيفية تطبيق العودة فعلياً. هل هناك طريقة وحيدة لتطبيق العودة؟ كيف يمكن أن تكون عودة اللاجئين الفلسطينيين فرصة للإسرائيليين؟ وكيف يمكنها أن تفتح أمامهم إمكانيات للحياة في مكان أفضل كمواطنين لا كمحتلين؟"

حضر المؤتمر، وعلى مدار اليومين اللذين عُقد فيهما، نحو ٤٠٠ شخص، عرباً ويهوداً وأجانب، من أكاديميين وسياسيين وناشطين ومبدعين، فضلاً عن مشاهدة ٧٥٠ شخصاً من مختلف أنحاء العالم لأعماله، بالبث الحي والمباشر في شبكة "الإنترنت"، وتحدث في المؤتمر ٣٥ شخصاً، أغلبيتهم من اليهود والفلسطينيين، علاوة على متحدثين من كندا، والولايات المتحدة، وصربيا، وبولونيا.

وأجمع المتحدثون في الجلسة الختامية على أن المؤتمر كان مهماً جداً بالنسبة إليهم بصفتهم مؤمنين بحق العودة ووجوب تطبيقه، لأنه وفر لهم فرصةَ الاستماع إلى

ناشطون خلال حملة تنظيف في مسجد الغابسية

الغابسية		
الموقع	١١ كم شمالي شرقي عكا	
تاريخ الاحتلال الصهيوني	١ أيار / مايو ١٩٤٨	
العملية العسكرية الصهيونية	بن عمي	
سبب النزوح	طرد العصابات الصهيونية للسكان	
مدى التدمير	دُمرت بالكامل، لكن أنقاض البيوت لا تزال موجودة	
وضع السكان	تم تهجيرهم بشكل كامل	
ملكية الأراضي / دونم	الفلسطينيون	اليهود
	١١,٧٧١	صفر
عدد السكان في سنة ١٩٤٨	١,٤٣٨ نسمة	
عدد البيوت في سنة ١٩٤٨	٣٨٢ بيتاً	

أفكار وطروحات نظرية وتطبيقية بشأن ذلك، ومشاركتَها مع أكبر عدد ممكن من المهتمين، مؤكدين أنه على الرغم من شحّ أعداد الضاغطين من أجل تطبيق حق العودة، وخصوصاً في المجتمع الإسرائيلي، أن هذا المؤتمر يمنح الأمل ويثبت الخطوات نحو تحقيق حق العودة.

ويُذكر أنه بعد انتهاء المؤتمر، أقيم حفل إطلاق لكتاب جديد صادر عن "زوخروت"، عنوانه: "عودة ـ شهادات متخيّلة من مستقبلات ممكنة"، تحرير تومر غاردي وعمر الغباري، ويتضمن اثنتي عشرة قصة قصيرة من تأليف كتّاب عرب ويهود يتخيلون العودة في قصص أدبية. ■

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(القضية الفلسطينية / آفاق المستقبل ـ ١)

إضاءة على مأزق

النخبة السياسية الفلسطينية

جميل هلال

١٢١ صفحة ٨ دولارات